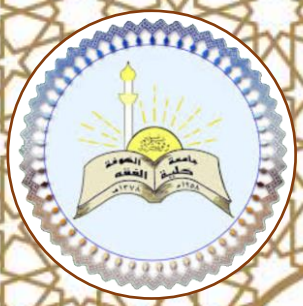

مجلة كلية الفقه

مجلة فصلية علمية محكّمة

تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

الرقم الدولي: ISSN 1995-7971

العدد الحادي والثلاثون – السنة الحادية عشرة

ربيع الثاني / ١٤٤١هـ – كانون الأول / ٢٠١٩م

المشرف العام

الأستاذ الدكتور

ستار جبر الأعرجي

عميد كلية الفقه

رئيس التحرير

الأستاذ الدكتور

محمد صبار نجم

مدير التحرير

الأستاذ المساعد الدكتور

فاضل مدب متعب

مقوم اللغة العربية

الأستاذ المساعد الدكتورة

إنتصار راضي عليوي

جامعة الكوفة – كلية الفقه

مقوم اللغة الإنكليزية

الأستاذ المساعد الدكتورة

هناء غني خليف

الجامعة المستنصرية – كلية الآداب

هيئة التحرير

الأستاذ الدكتور	هادي حسين هادي الكرعاوي
الأستاذ الدكتور	محمد محمود زوين
الأستاذ الدكتور	رؤوف أحمد محمد الشمري
الأستاذ الدكتور	عباس علي كاشف الغطاء
الأستاذ الدكتور	حسين سامي عبد الصاحب
الأستاذ الدكتور	محمد علي هاشم الأسدي
الأستاذ الدكتور	كريم شاتي شبوط السراجي
الأستاذ المساعد الدكتور	حيدر محمد علي السهلاني
الأستاذ المساعد الدكتور	مهند مصطفى جمال الدين
الأستاذ المساعد الدكتورة	خولة مهدي شاكر الجراح

الهيئة الإستشارية

الأستاذ المتمرس الأول	محمد حسين علي الصغير	العراق
الأستاذ المتمرس الدكتور	عبدالأمير كاظم زاهد	العراق
الأستاذ الدكتور	حسن عيسى الحيكم	العراق
الأستاذ الدكتور	محمود محمد حسن المظفر	مكة المكرمة
الأستاذ المتمرس الدكتور	صاحب محمد حسين نصار	العراق
الأستاذ الدكتور	حازم سليمان الحلي	ألمانيا
الأستاذ الدكتور	علي حسين الجابري	جامعة بغداد / العراق
الأستاذ الدكتور	سلامة حسين محمد	جامعة بغداد / العراق
الأستاذ الدكتور	صباح عباس عنوز	جامعة الكوفة / العراق
الأستاذ الدكتور	علي ناصر غالب	العراق
الأستاذ المساعد الدكتور	أحمد فاضل السعدي	جامعة طهران / إيران

الشروط العامة للنشر

١- أن لا يكون البحث قد سبق نشره في أية مجلة علمية أو شارك في مؤتمر.

٢- أن لا يكون البحث مقدماً للنشر في مجلة أخرى.

٣- أن لا يزيد عدد صفحات البحث عن (٢٠) صفحة، حجم A4.

٤- يتضمن البحث الفقرات الآتية:

أسماء الباحثين ومراتبهم العلمية، أماكن عمل كل منهم، المستخلص (بالعربي والإنكليزي)، المقدمة (الموارد وطرائق العمل)، النتائج والمناقشة والمصادر.

٥- يحتوي البحث على المستخلص باللغة الإنكليزية على أن لا يتجاوز ٢٠٠ كلمة.

٦- تقدم البحوث مطبوعة باستعمال برنامج Microsoft Word وبخط Simplified Arabic وبحجم (١٤) للعنوان الرئيسي للبحث وبحجم (١٢) لإسم الباحث ومرتبته العلمية ومكان عمله، ونفس الحجم للنصوص والعناوين الفرعية (٨) لهوامش الجداول إن وجدت، ويكتب البحث على وجه واحد من الورقة مع ترك مسافة سطر واحد بين المواضع وسطر واحد بين المقاطع.

٧- يشار إلى المصدر في متن البحث بالأرقام، وتكون محصورة بقوسين مربعين (١) ولا يذكر بجانب الرقم في المتن أي شيء آخر.

٨- يترك مسافة الحواشي بمقدار ٢,٥ سم على الجوانب الأربع للصفحة.

٩- تكتب المصادر في نهاية البحث بحسب تسلسل ورودها في المتن وشروط البحث العلمي في ذلك.

١٠- تقدم البحوث مطبوعة مع قرص CD مسجل عليه البحث وفق المتطلبات المشار إليها.

١١- يسلم الباحث مبلغ (٢٠,٠٠٠) دينار عراقي أو ما يعادله كدفعة أولى لقاء إيصال رسمي إلى حسابات المجلة، ويكمل المبلغ بحسب الضوابط في حال قبول البحث للنشر في المجلة ويسقط حق الباحث بالمطالبة بالدفعة الأولى في حال رفض البحث.

١٢- يزوّد كل باحث بنسخة واحدة من العدد المنشور فيه بحثه، ولا يرد أصل البحث الذي أرسل إلى المجلة نشر أو لم ينشر.

كلمة التحرير

حائط الصدّ

تُشغلُ واقعَنا الفكريّ اليوم جملةٌ من المشاكلِ والتحدّياتِ الّتي تُؤشّر مساراته وتؤثّر فيها، وتحدّد طبيعةَ الحواراتِ والاشتغالاتِ الّتي يتوجّه إليها الباحثون والدارسون ويتفاعلوا معها، كلٌّ حسبَ منطلقاتِهِ وأُسسِ تفكيرِهِ ومنهجِهِ رَفْضَاً أو قَبُولاً، وتنعكِسُ المواقفُ منها في كثيرٍ من الأحيانِ على الساحةِ الفكريّةِ عُمُوماً وربّما تتشكّلُ المواقفُ والمتبنّياتُ على أساسِها.

وتبرزُ على أساسِ ذلك في الغالبِ كتلٌ معرفيّةٌ واتّجاهاتٌ فكريّةٌ تتصارعُ على من يُمثّلَ الواجهةَ في المشهدِ، ومن يعجزُ عنْ تَسيّدِها فيلوذُ إلى خلفيّتِهِ أو يَنْكَفِئ إلى الانعزالِ.

وعلى رأسِ مَا يُشْغِلُ واقعَنَا اليومَ الدعواتُ إلى إعادةِ التعاملِ معَ النصِّ الدينيّ وفسحُ المجالِ أمامَ تعدّدِ القراءاتِ.

وتَنزلُ الحداثةُ إلى الميدانِ بقُوّةٍ وتحتلُّ منَ المشهدِ واجِهَتَهُ دُونَ منافسٍ حقيقيٍّ أو قائمٍ بالزحزحةِ ودُونَ أنْ تَكونَ لها حقٌّ في الأهليّةِ الكاملةِ على أنْ تكونَ متسيّدَةً للميدان بهذا الشكلِ، وهذا ما يُؤشّر بوضوحٍ ضعفَ حضورِ البديلِ الموضوعيّ وفاعليتِهِ في المواجهةِ.

وليس هذا ضَعْفَاً في منظومةِ التراثِ أو قابلياتِ المرجعياتِ الّتي يُستمدُّ منها بقدرِ ماهو ضعفُ بلورةِ المفاهيمِ وقابلياتِ الإفهامِ على انتزاعِها وتشكيلِ ملامحِ المنظومةِ الفكريّةِ الّتي تُبْنى عليها وتنجحُ في استيعابِ ملامحِ الرؤيةِ الكونيّةِ المستمدّةِ منها والّتي تُؤمّن الفاعليةَ والقدرة على المواجهةِ.

إنّ من واجباتِ الفكرِ الإسلاميّ اليومَ وأهمّ مسؤولياتِه أنْ يُبلورَ رؤيةً جديدةً وقراءةً معاصرةً تُؤمّنُ الاستجابةَ للتحدياتِ الفكريّةِ واستيعابَها للرؤيةِ الكونيّةِ والمنظورِ الاسلاميّ لتقدّمَ الاجابةَ

كلمة التحرير

الكاملةَ للتساؤلاتِ والاشكالاتِ المختلفةِ المطروحةِ اليومَ لأداءِ مَهَّمَةِ سدّ الطريقِ ومَلْإ الثغراتِ التي تُنتجُها مقولاتُ الحداثةِ وتتحرّكُ كإشكالاتٍ مُؤثّرةٍ ومُتبناةٍ من الكثيرينَ، وهكذا فإنَّ هذا التحدّي الكبيرَ يُلزمنا بمَهَمّتين رَئيستين:

١- بلورةِ المفاهيمِ وتأمينِها بمجموعِها لتكوّنَ ملامحَ الرؤيةِ الكونيّةِ وموقفَ المنظورِ الاسلاميّ في مختلفِ القضايا والمشكلاتِ والإشكالاتِ.

٢- تأمينِ حائطِ صدٍّ ومنظومةِ ردّ شبهاتٍ، وتحريرِ الأجوبةِ الواقعيّةِ للتساؤلاتِ والإشكالاتِ، وتشكيلِ منظومةِ الاستدلالِ الداعمةِ والموثّقةِ لهذهِ الرؤيةِ الكونيّةِ والمنظورِ الاسلاميّ مِنْ خلالِ انتزاعِ الأدلّةِ والحججِ والبراهينِ الموثقّةِ والمصدّقةِ لكلِّ مَلْمحٍ مِنْ ملامحِ الشريعةِ والعقيدةِ والتراثِ .

وهذا العدد من مجلتنا الغراء يستوعب هذه الحاجات ويلتفت الى لوازم الاستجابة لتحدياتها في العديد من بحوثه ويرسل رسالة واضحة للتنبيه الى ضرورة إعادة تشكيل منظومة الاستدلال والرد (حائط الصد) ليكون مؤهلاً بالكامل للوقوف في مواجهة الشبهات والاشكالات المعاصرة والانتقال من رد الفعل الى الفعل وتقديم الرؤية الكونية الإسلامية المؤمنة والمدعومة بالحجة والدليل.

أ.د. ستّار جبر الأعرجيّ
عميد الكلّيّة
المشرف العام

جدول المحتويات

١	دلالات النص على المعنى وما بعد المعنى قراءة في الإشكالية	١٣-٣١
	د. إحسان الأمين	
٢	مباني الشيخ الأنصاري في مباحث الحجة مباني القطع أنموذجاً وتطبيقاته الفقهية	٣٣-٤٤
	الباحث: حسنين بدر نجف أ.د. هادي حسين الكرعاوي	
٣	الأساس الفلسفي للقراءة التاريخية وانعكاسه على النص الديني	٤٥-٦٨
	م.د سعد جاسم الكعبي أ.د.كريم شاتي السراجي	
٤	المسؤولية الاجتماعية لدى موظفي كلية التربية	٦٩-٨٩
	م.م. سيف ناجح السلطاني أ.د. فاضل محسن الميالي	
٥	البعد الوظيفي التداولي للعلامات في رسائل الإمام علي (ع)	٩١-١٠٨
	م.د.مرتضى شناوة فاهم العرداوي أ.د. كريمة نوماس المدني	
٦	القدرة الشرعية والعقلية عند أصوليي الإمامية	١٠٩-١٢٩
	أ.م.د. صلاح عبدالحسين المنصوري	
٧	نظرية تعويض الأسانيد إشكال في بعض تطبيقاتها	١٣١-١٥٦
	الباحث: مصطفى زكي يحيى	
٨	مستند الاحتياط الوجوبي في الفقه الإسلامي	١٥٧-١٨٩
	بحث مشترك: ١- أ.م.د صادق حسن علي الطفيلي ٢- كامل كاطع غنتاب	
٩	قوانين عرض المعلومات في الفضاء المجازي الافتراضي في ضوء القواعد الفقهية	١٩١-٢٠٧
	أ.م.د. محمد حسين ملايكة بور قاسم سيد نور الدين مراديان وفايي	
١٠	فكر الإمامة وتأثيرها على الحضارة البشرية	٢٠٩-٢٣٣
	علي راد مهر طالب د. عبدالحسين خسرو بناه أ.د. أبو الفضل روحي	

جدول المحتويات

١١	جملة الشرط بين القدماء والمحدثين	٢٣٥-٢٤٧
	أ.م.د. انتصار راضي عليوي	
١٢	عقد الصيانة دراسة فقهية مقارنة	٢٤٩-٢٦٧
	إعداد: م.د. سهام علي حسين الناصري	
١٣	المحددات الأصولية لفهم النص التشريعي وعلاقتها بإشكالية المطلق والزمني دراسة تحليلية	٢٦٩-٢٩٠
	م.د. أسعد عبدالرزاق طعمة الأسدي	
١٤	الآراء الفقهية للسيد محمد باقر الصدر (نظرية خلافة الأمة وإشراف الفقيه إنموذجاً)	٢٩١-٣٢٩
	م.د. محمد فرحان عبيد النائلي	
١٥	هذه الرسالة في علم المعاني محلها عند قول صاحب "التلخيص" عند ورود الأمر للتعجيز نحو: (فأتوا بسورة من مثله) لخاتمة المحققين ببلد الله الأمين العلامة السيد أحمد بن زيني دحلان (ت١٣٠٤هـ)	٣٣١-٣٨٣
	تحقيق: م.د حسين عيدان مطر الشمري	
١٦	النفي في المناجاة الخمس عشرة الملحقة بالصحيفة السجادية - دراسة نحوية	٣٨٥-٤٠١
	م.د. وداد حامد عطشان السلامي	
١٧	نقد متن الروايات المفسرة للقرآن الكريم	٤٠٣-٤٢٥
	م.د. لواء حميزة كاظم العياشي	
١٨	مشكلة تدريس علم الاستعارة المعوقات والحلول المقترحة	٤٢٧-٤٤٨
	م.د. مصعب مكي زيبية	
١٩	دلالة الفصل عند المفسِّرين قراءةٌ في الآية (السابعة عشر) من سورة الحج	٤٤٩-٤٧٤
	م.م وسام فخري جويّح الحسناوي	
٢٠	الاجتهاد في الرؤية الحداثوية	٤٧٥-٥١٠
	م.د. حميد صبّار كاظم الأعرجي	

جدول المحتويات

٢١	التكافؤ الدينامي للترجمة من العربية إلى الفارسية في ضوء الدراسات النصية	٥١١-٥٢٩
	أ.م.د. سعد الله همايوني رضا بيات	
٢٢	الشعر والخطابة والأمثال من منظور إسلامي	٥٣١-٥٧٨
	م.د سناء لطيف عبدالرزاق الخرسان	
٢٣	المعالجات الأخلاقية عند محمد حسن القزويني	٥٧٩-٦١٣
	م.د. انتصار سلمان سعد	
٢٤	موقف أبي طالب من فجر الدعوة الإسلامية حتى وفاته - دراسة تاريخية -	٦١٥-٦٢٦
	الباحث: حسين نبيل جواد الخاقاني / رئاسة جامعة الكوفة	
٢٥	أساليب تهذيب النفس في النص القرآني دراسة تحليلية في البنى النحوية	٦٢٧-٦٤١
	م.م. انتصار عبدالأمير جبار الخالدي	
٢٦	مبدأ الزوجية في الخلق وأثره في بناء الأسرة الإسلامية (دراسة كلامية فقهية)	٦٤٣-٦٩١
	أ.م.د. رزاق حسين العرباوي	

فكر الإمامة وتأثيرها على الحضارة البشرية

علي راد مهر طالب　　د. عبدالحسين خسرو بناه　　أ.د. أبو الفضل روحي

الملخص

نشـأت الحضـارة الإسـلامية منذ تسـمية "يثرب" بمدينة النبى (ﷺ)، وهذا التحضـر يتميز بأن رسـول الله (ﷺ) من خلال هـذا العمـل الرمزى وهو تحويـل المدينة من الجاهلية الى مدينة إسلامية قد مهّد الى تغيير جذرى فى نظام الخلقة والبشـرية وأظهر ان الإسـلام يسـعى الى إنقاذ المدن الجاهلية فى العالم. والقرآن الكريم بما انه منشـور الحياة الإنسـانية يفتح أبواب الحضـارة أمام الإنسـان وان الأئمة المعصـومين (عليهم السلام) قد أكدوا ان القرآن منشور الحياة البشرية وان للقرآن دوراً أسـاسـياً فى هذا التحضـر وان هذا الفكر الإسـلامى الحديث لا يمكن له ان يتـأسـس الا من خلال مجتمع مـدنى إسـلامى. وتعتبر الإمـامـة هى المحور الأسـاسـى لتطور الحضـارة الإسـلامية وتمثل محور النشـاطات جميعاً وموحدةً لكـل الفعـاليـات الإجتمـاعيـة ومن النعم الإلهية التي وهبها الله تعالى لعباده حيث صـرّح في كتابه العزيز بمكانة الأئمة عليهم السـلام تارة، وأومأ إلي منزلتهم الرفيعة تارة أخرى. كان الأئمة عليهم السلام من البسطاء غير أنهم وصلوا إلي هذه المراتب الرفيعة.

فهذا المقال عبر المنهج التوصيفي والتاريخي بصدد الإجابة عن الإسئلة التالية. اولاً: ماهو أثر الإمامة على الحضارة البشرية؟ ثانياً: هل كان للأئمة المعصومين (عليهم السلام) مؤلفات ومناهج دراسية لنشر العلوم الدينية والإسلامية؟

فرضية البحث تدل على أنَ فكرة الإمامة هى خارطة طريق البشرية فى تأسيس الحضارة المنشودة وأهل البيت (عليهم السلام) أسهموا بشكل لافت فى نشر العلوم الدينية والمعارف الإنسانية لتعزيز ودعم صروح الحضارة البشرية.

المقدمة:

ليس من الغريب القول بأن معرفة قضية الإمامة وتحديد الموقف منها هو الذي يحدد مسار الإنسان واتجاهه في هذه الحياة. وعلي أساس هذا التحديد، والمعرفة والاعتراف يتحدد مصيره، ويرسم مستقبله، وبذلك تقوم حياته، فيكون سعيداً أو شقياً، في خط الإسلام وهداه، أو في متاهات الجاهلية وظلماتها، كما أشير إليه في الحديث الشريف: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية»[1] أو ما بمعناه فعلي أساس الاعتقاد بالإمامة وطريقة التعامل معها يجسد الإنسان علي صعيد الواقع، والعمل، مفهوم الأسوة والقدوة، الذي هو حالة طبيعية، يقوم عليها - من حيث يشعر أو لا يشعر - بناء وجوده وتكوين شخصيته، منذ طفولته. كما أن لذلك تأثيره الكبير في تكوينه النفسي، والروحي، والتربوي، وفي حصوله علي خصائصه الإنسانية، وفي حفاظه علي ما لديه منها. علي أساس هذا الاعتقاد، وذلك الموقف - أيضاً - يختار أهدافه، ويختار السبل التي يري أنها توصله إليها. والإمامة هي التي تبين له الحق من الباطل، والحسن من القبيح، والضار من النافع. وعلي أساس الالتزام بخطها يرتبط بهذا الإنسان أو بذاك، ويتعاون معه، ويتكامل، أو لا يفعل ذلك. كما أنها هي التي تقدم للإنسان المعايير والنظم، والمنطلقات التي لا بد أن يلتزم بها، وينطلق منها، ويتعامل ويتخذ المواقف . إحجاماً أو إقداماً ــ علي أساسها. أضف إلي ذلك: أنها تتدخل في حياته الخاصة، وفي ثقافته، وفي أسلوبه وفي كيفية تفكيره. ومن الإمام يأخذ معالم الدين، وتفسير القرآن، وخصائص العقائد، ودقائق المعارف. وهذا بالذات هو السر في اختلاف الناس في ذلك كله، واختلفوا في تحديد من يأخذون عنه دينهم، وفي من يتخذونه أسوة وقدوة. أنّ أهل البيت عليه السلام

مخلوقون من نورٍ واحد، وهم أكمل اهل زمانهم في كل صفة فاضلة، ولما كانت مقتضيات الزمان ومظاهر تلك الصفات فيهم متفاوتة بحسب الأزمان كان ظهور آثارها منهم متفاوتاً بحسب الظروف، فمثلاً آثار الشجاعة عند علي وابنه الحسين عليهما السلام كانت ظاهرة فيهما لمتطلبات الدور الذي كانا عليهما أن يؤديانه؛ والإمام الصادق عليه السلام فقد ظهرت عليه إمارات العلم، ولا يعني هذا أنه لم يكن شجاعاً لأن الدور الذي أُمر به هو التقية والمداراة، فكلهم عليهم السلام مشتركون في الشجاعة وكلهم مشتركون في العلم، تلقوا اهل البيت عليهم السلام العلوم والمعارف عن جدّهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقاموا بمهامه الشرعية كإمام مسؤول عن نشر الشريعة، وحفظ أصالتها، عن طريق تأسيس جامعة أهل البيت في المسجد النبوي الشريف، وأخذوا ينشرون العلم والمعرفة بين الفقهاء والمفسرين والمحدثين، ورواد العلوم المختلفة فتتلمذ عليهم أئمة الفقه، وعنهم أخذ رواة الحديث، لذلك نجد العلماء والفقهاء والمحدثين والفلاسفة والمتكلمين وعلماء الطبيعة وغيرهم يشهدون بمجد اهل البيت عليهم السلام العلمي، ويشيدون بمقامهم.

١-مفهوم الإمامة:

الإمامة في اللغة هي مصدر الفعل "أم" والإمام هو ما يؤتم به، ومنه قيل للطريق إمام، وللبناء إمام لأنه يؤتم بذلك، أي يهتدي به السالك، والنبي صلى الله عليه وسلم إمام الأئمة، والخليفة إمام الرعية، والقرآن إمام المسلمين، وإمام كل شيء قيمه والمصلح له.[٢] يجب علينا قبل التوغل فى المعنى الاصطلاحى للإمامة أن نبين أن المراد بالمعنى اللغوى للإمام هو كل ما اقتدى به وقدم فى الأمور والذى يؤتم به أما فى الصلاة أو الجهاد... أو فى جميع الشؤون السياسية والاجتماعية سواء كان بحق أو بباطل. فعن أبى عبدالله (عليه السلام): أن الأئمة فى كتاب الله-عزوجل- إمامان: قال الله تبارک وتعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا...﴾ (انبياء/٧٣) لا بأمر الناس يقدمون أمر الله قبل أمرهم وحكم الله قبل حكمهم. وقال: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ...﴾ (القصص/٤١) يقدمون أمرهم قبل أمر الله وحكم الله ويأخذون بأهواءهم خلاف ما فى كتاب الله[٣]. وفى آية آخرى من القرآن الكريم: ﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ...﴾ (التوبة/١٢) ولما كانت إمامة الأئمة الاثنى عشر ثابتة عندنا بالنص وبوجدانهم شرائط الإمامة الحقة، صار

هذا سبباً لانصراف لفظ الإمام عندنا أليهم عليهم السلام حتى كأن لفظ الإمام وضع لهم. فالإمامة. (هى منصب إلهى يختاره الله سبحانه وتعالى بسابق علمه بعباده، كما يختار النبى النبى، ويأمر النبى بأن يدل الأمة عليه، ويأمرهم بأتباعه وبذلك فالإمامة هى عهد من الله بينه وبين من يختاره لذلك وتعتبر الإمامة هى الأصل الذى امتازت به الإمامية وافترقت عن سائر فرق المسلمين، وهو فرق جوهرى اصلى وماعداه من الفروق فرعية عرضية، كالفروق التى تقع بين أئمة الاجتهاد عندهم كالحنفى والشافعى وغيرهم.[٤] وقد أجمع المسلمون على وجوب الإمامة يحكى عن أبى بكر الأصم من قدماء المعتزلة من عدم وجوبها أذا تناصفت الأمة ولم تتظالم، وقال المتأخرون من أصحابه: إن هذا القول غير مخالف لما عليه الأمة، لأنه أذا كان لايجوز فى العادة أن تستقيم أمور الناس من دون رئيس يحكم بينهم فقد قال بوجوب الإمامة على كل حل ووافق الأصم بذلك النجدات من الخوارج[٥] وقد أختلف فى دليلٍ وجوب الإمامة هل هو العقل أم الشرع أم هما معاً فى كل طويل نحيل من يريد الاطلاع عليه إلى مصادرها.

٢-مفهوم الحضارة:

تلفظ الحضارة بكسر الحاء وفتحها، وهي مشتقة من الفعل حضر، وحضر لغة ضد غاب، ومنه الحضر والحاضرة والحضرة والحضارة بمعني المدن والقري والريف، وسميت بذلك لان اهلها حضروا الامصار ومساكن الديار التي يكون لها بها قرار اي سكن واقامة، وعليه كانت الحضارة لغة تعني الاقامة في الحضر خلافا للبادية التي يمكن ان تكون قد اشتقت من الفعل المجرد «بدا» ومضارعه «يبدو» اي برز وظهر، ثم اطلق اللفظ على المكان وصارت تعني الاقامة خارج الحضر،[٦] واستعمل القطامي لفظ الحضارة ولفظ البادية بمعناهما اللغوي السابق في قوله: ومن تكن الحضارة اعجبته فاي رجال بادية ترانا وجاء في الحديث الشريف «لا يبع حاضر لباد» ولما سئل عبد الله بن عباس عن ذلك قال: «لا يكون الحاضر سمسارا له» وهذا منهي عنه لما فيه ضرر المشتركين، فان المقيم اذا توكل للقادم في بيع سلعة الناس اليها، والقادم لا يعرف السعر ضر ذلك المشتري فقال عليه السلام: «دعوا الناس يرزق الله بعضهم من بعض»[٧] وهذه اشارة الي ما بين البداوة والحضر من اختلاف. غير ان اللفظ الى

جانب مدلوله اللغوي، صار يستعمل اصطلاحا للدلالة على معاني اخرى اختلف المشتغلون بالدراسات الحضارية فيها. ففي الماضي استخدم ابن خلدون لفظ العمران للدلالة على مستوى الحياة التي يحياها الناس، وعد الحضارة غاية العمران ومنتهاه، خلافا للبادية التي تمثل اول العمران ومبتداه، وفي مرحلة الحضارة يكون الناس، براي ابن خلدون، بلغوا حالة زائدة على الضروري من احوال معاشهم تمكنهم من التفنن والترف واحكام الصنائع المستعملة في وجوه الترف ومذاهبه من المطابخ والملابس والمباني والفرش وسائر عوائد المنزل واحواله وما تستدعيه اصناف الصنائع المستعملة من القومة والمهرة فيها مع ما يسيغه تكرار هذه الصنائع على اتصال الايام من استحكام ورسوخ لها[٨]. والمنحى الذي يذهب ابن خلدون اليه في مدلول لفظ الحضارة يشير الى استعماله لفظ الحضارة للدلالة على نوع معين من الحياة يشبه الى حد كبير مدلول لفظ المدنية في العصر الحاضر عند بعض الباحثين الذين يرون المدنية مجموعة المظاهر المادية التي تمثل مستوى اشباع الحاجات الانسانية في المجتمع[٩]. وفي العصر الحاضر تناول اللفظ باحثون المان وفرنسيون وانجليز وامريكان وغيرهم، ثم باحثون عرب ومسلمون، وقد اتفق اكثرهم عند قدر من الظواهر الاجتماعية هي السلوك والعقائد والنظم، عدوه داخلا في مدلول لفظ الحضارة ثم اختلفوا من بعد ذلك في مقدار ما يدخل من الظواهر الاجتماعية تحت ذلك المدلول، فقد ذكر «ول ديورانت» الامريكي ان الحضارة نظام اجتماعي يعين الانسان على الزيادة من انتاجه الثقافي[١٠].

٣- مقوِّمات الإمامة

إنّ الإمامة في الحضارة الإسلامية هي ولاية أُمور المسلمين المرتبطة بدينهم، وبدنياهم. والإمام هو الوالي، المدبّر لتلك الأُمور حسب المصالح المتوفّرة في زمنه، وبالأدوات والأساليب الممكنة له كمّاً وكيفاً. ولابُدّ أن يتّصف الإمامُ بالأهليّة التامّة لمثل تلك الولاية، التي يرتبط بها مصيرُ الأُمّة كلّها، والإسلام نفسه، كما أنّ إرادته هي التي تحدد مسير الدولة ودوائرها وسياستها. ومن أجل خُطورة المنصب، وعظمة ما يترتّب عليه ويرتبط به من أُمور مصيريّة، فإنّ العلم بتوفّر تلك الأهليّة، التي تكوّنها مقوّمات خلقيّة، ونفسية وقابليّات، ونيات، وأهداف، لا

يمكن الاطّلاع عليها إلاّ من خلال المعرفة التامة، والتداخل الوثيق في الماضي والحاضر، وحتى المستقبل المستور، وذلك ليسَ متصوّراً حصوله إلاّ لله العالم بكل الأُمور

أ. فالعلم بالدين: بجميع معارفه وشؤونه، وبشكل كامل وتامّ، من أبده الأُمور اللازم وجودها في الإمام الذي يتولّى أمر الدولة الإسلامية، ومن الواضح: أنّ ذلك لا يحصل إلاّ بالاتّصال الوثيق بمصادر المعرفة الإسلامية الثرّة الغنية، والبعيدة عن الشوب والتحريف، ليكون الإمام أعلم الناس، ومرجعاً لهم في أُمور الدين، ومعارفه.

ب. الفضل: من الشرف، والتقى، ومكارم الأخلاق، فلابُدّ أن يكون الإمام مقدَّماً على أُمّته فيها، حتّى يكون «القدوة» لهم فلا يرتاب مسلم بأنّ «آل محمّد» أشرف بني هاشم، وأنّ بني هاشم أشرف قريش، وأنّ قريشاً أشرف العرب، وآل محمّد، أعرق بني هاشم نسباً، وأطهرهم رحماً، وأكرمهم حَسَباً، وأوْفاهم ذِمَماً، وأحمدهم فعلاً، وأنزههم ثوباً، وأتقاهم عملاً، وأرفعهم هممأ. وقد أقرّ لهم العدوّ والصديق بالشرف والفضل والكرم والمجد.

ج. القيادة: بأن يكون بمستوى رفيع من الحكمة والتدبير، والجرأة في الإقدام على الصالح للدين وللمسلمين، والمتكفّل لعزته ودوامه.(١١)

٤-مقوّمات الحضارة الإسلامية

للحضارة الإسلامية أسس قامت عليها ومقوماتها تميزت بها عن الحضارات الأخرى أهمها:

أ. العقيدة: جاء الإسلام بعقيدة التوحيد التى تُفرد الله سبحانه بالعبادة والطاعة وحرص على تثبيت تلك العقيدة وتأكيدها، وبهذا نفى كل تحريف سابق لتلك الحقيقة الأزلية. قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (الإخلاص/١-٤) فأنهى الإسلام بذلك الجدل الدائر حول وحدانية الله تعالى، وناقش افتراءات اليهود والنصارى وردعليها إذ قال تبارك وتعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ * اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَسُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (التوبة/٣٠-٣١) وقطع القرآن

الطريق بالحجة والمنطق على كل من جعل مع الله إلها آخر.

ب. شمولية الاسلام وعالميته: الإسلام دين شامل، وقد ظهرت هذه الشمولية واضحة جلية فى عطاء الإسلام الحضارى، فهو يشمل كل جوانب الحياة الاقتصادية والسياسة والاجتماعية والفكرية، كما أن الإسلام يشمل كل متطلبات الإنسان الروحية، العقلية والبدنية، فالحضارة الإسلامية تشمل الأرض ومن عليها إلى يوم القيامة، لأنها حضارة القرآن الذى تعهد الله بحفظه إلى يوم القيامة وليست جامدة متحجرة وترعى كل فكرة أو وسيلة تساعد على النهوض بالبشر، وتسيرلهم امور حياتهم، مادامت تلك الوسيلة لاتخالف قواعد الإسلام وأسسه التى قام عليها فهى حضارة ذات أسس ثابتة مع مرونة توافق طبيعة كل عصر، بما يحقق النفع للناس.

ج. الحث على العلم: حثت الحضارة الإسلامية على العلم، وشجع القرآن الكريم والسنة النبوية على طلب العلم، ففرق الإسلام بين أمة تقدمت علمياً أو أمة لم تأخذ نصيبها من العلم، فقال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (المجادلة/١١) عن أبى عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله (ﷺ) من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا به وإنه يستغفر لطالب العلم من فى السماء ومن فى الأرض حتى الحوت فى البحر، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم ليلة البدر، وإن العلماء ورثة الأنبياء إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولادرهما ورثوا العلم فمن أخذ منه أخذ بحظ وافر.[١٢]

د. التسامح الدينى: إن الحضارة الإسلامية تعامل الجميع على أساس من العدل والمساواة والرحمة، فهى فى ذلك الاستثناء الوحيد فى تاريخ الحضارات البشرية.[١٣]

٥- دور الأئمة المعصومين (عليهم السلام) في نشر المعرفة

يعد أئمة أهل البيت (عليهم السلام) النواب الحقيقيين للنبي الأكرم (ﷺ). وهم يمثلون النموذج العملي في الخُلق الإسلامي الرفيع وأنّ السعادة البشرية في اتّباعهم ويلتزم أتباع أهل البيت (عليهم السلام) بقيادتهم وأحقيتهم في الحكم وقد أصبحوا أقلية في العالم الإسلامي وهم الخط المواجه للحكام. فالإمام علي (عليه السلام) بعد خمسة

وعشـرين عاماً (كان جليس الدار آخذاً بـالتقيـة) لم يحكم إلا خمس سـنوات، والإمام الحسـن (عليه السلام) لم تسـتمر حكومته إلا ستّة أشهر وعاش الأئمة الباقون (عليهم السـلام) في ظل حكومة الحكام الجائرين حيث استطاعوا من خلال اتّباع الأساليب الحكيمـة أن يحـافظوا على التعـاليم الإسـلامية الأصيلة. كانت الارضية لبعض الأئمة المعصومين عليهم السلام فى اثراء العلوم الاسلامية منهم الإمام الصادق عليه السـلام متاحه لعده أسـباب: أولا: فتره امامته كانت ممتده منذ وفاه والده (مائه وأربعه عشر ه) حتى (مائه وثمانيه وأربعين) بمعنى امتدادها أربع وثلاثين عاما. ثانيا: امتداد التحولات والمشـاحنات السـياسـيه والعسـكريه التى أتاحت فرصـه ذهبيه للامام، ولانتشـار العلوم، ذلک لأن الأحداث التى سبقت وتلت الخلافه العباسيه جرت على عهده. ثالثا: المام واحاطه الكثير من الطلبـه والمحـدثين بمعـارف أهـل البيـت عليهم السلام، الذين استلذوا حلاوه الكلام وهم يسـمعونه من سـيدنا الباقر (عليه السلام)، فزادهم الظمأ بالاغتراف من ينابيع علوم أهل بيت الرسـول العذبه النقيه فانعقدت حلقـاتهم بشـوق لاهـب حول الامـام الصـادق (عليه السلام). رابعا: ممازاد قى شـده هذا الشـوق ذياع صـيت سـيدنا الصـادق عليه السـلام فى الآفاق. خامسـا: اعراض الامام الصادق (عليه السلام) عن جميع الأحداث السياسيه مباشره وانكبابه على نشر العلوم مما ساعد طلاب العلم على ارتيـاد مجـالسـه دون خشيه أو خوف. سادسا: رواج سوق العلوم والمعارف وتعاظم أعداد العلماء والباحثين عن العلوم، واتساع دائره العلوم الاسلاميه وكذلک العلوم الدخيله والتى كانت (كما أسلفنا سابقا) مؤثره شأن سيدنا الصادق عليه السـلام. سـابعا: الامام الصـادق عليه السـلام فضـلا عن احاطته بالعلوم الدينيه كالفقه والتفسـير والكلام ومعارف القرآن، وبشهاده روايات كثيره منها الآثار المنسوبه الى جابربن حيان والتى هى فى حاجه الى أفراد بحـث خـاص بـه محيطـا بـالعلوم الطبيعيه. وانعكسـت معالم احاطته بهذه العلوم فى هذه الكتب وفى روايات مفضل بن عمر وآخرين غيره. وهـذا الجـانـب من علومـه الزاخره جمع لا محـالـه من حول الامـام أعـدادا من الطلبـه الخواص. وهـذه الأسباب وغيرها رسمت بمجموعها صوره منيره مشـرقه زاهيه للامام الصـادق عليه السـلام فى الأذهان، وربما لم تتوفر حتى ذلک التاريخ، لغير الامام دواعى مثل هذه الشهره والمكانه العلميه المرموقه الشامله،

كما لم تتوفر لسواه مثل هذا العدد الكبير من الرواه والتلامذه[١٤].

٦- أهداف حركة الأئمة المعصومين (عليهم السلام) العلمية:

تعدّ ثورة الأئمة المعصومين الفكرية الثقافية التوعوية بمثابة انقلاب تاريخي للفكر الإسلامي، يراد منه صقل العلوم والمعارف الإلهية مما لحق بها من آثار الانحراف والنفاق، نتيجة مجموعة الانتكاسات السياسية التي مرّت بها الأمّة الإسلامية، ويمكن أن نجمل هذه الأهداف بنقاط عدة، وهي:

١- العمل على توعية الأمة عن طريق الاتصال الدائم بها بشكل مباشر ومنظم.

٢- العمل على إرساء الفكر الإسلامي الأصيل، وتخريج القياديين الصالحين من الفقهاء والرواة والمحدثين والمفسرين ليكونوا مرجعاً للأمة في مجموعة أفكارها.

٣- الدفاع عن الدين وحفظه عن طريق تفنيد المزاعم الإلحادية التي تثيرها الزنادقة وجماعة الوضاعين في الحديث ومجموعة المنافقين وغيرهم.

٧- تشعب علوم ومعارف الأئمة المعصومين (عليهم السلام)

أ. علم الكلام: وهو العلم الذي يبحث عن الوجود والوحدانية والصفات، وما يلزم هذه المباحث من نبوة وإمامة ومعاد، بالأدلة العقلية التي تقوم على الأسس المنطقية السليمة، وقد كان لمدرسة الأئمة المعصومين نشاط بارز في هذا المجال، مما جعلواها وجهة المتكلمين وأصحاب الآراء والمقالات والزنادقة، يغدون إليها طلبا للحق أو الجدل فيه. وقد نبغ من تلامذة اهل البيت عليهم السلام في هذا العلم عدة من الشخصيات المتميزة التي كان لها حضور تأريخي بارز، كهشام بن الحكم، وهشام بن سالم الجواليقي، ومؤمن الطاق، وغيرهم من متكلمي أصحاب اهل البيت عليهم السلام. ولعل هؤلاء الثلاثة هم من أبرز من تكلم من أصحاب الأئمة المعصومين عليهم السلام، وناظر أصحاب المذاهب، كما إن هشام بن الحكم كان موضع اهتمام الأئمة المعصومين عليهم السلام وثقتهم، لتميزه عن قرينيه بقوة الحجة المحقة وسرعة الخاطر والاتساع في الذهنية والبراعة في الإبداع. وقد نقل عن الأئمة المعصومين عليهم السلام الكثير من النظريات والأسس الكلامية التي يقوم بناؤها على معطيات الإيمان الفطري، والفهم الأمين الواعي لآيات الكتاب العزيز.[١٥]

ب. التفسير: وهو العلم الذي يبحث فيه عن مداليل آيات الكتاب العزيز ومقاصدها، وهو من أشرف العلوم وأفضلها وأعلاها شأنا وأكثرها نفعا، فمنه ينفتح الإنسان على أجواء الله من خلال رؤيا كلماته المباركة، التي هي مصدر كل علم ومنطلق كل حكمة... لا شك ان القرآن الكريم هو أهم نص على الإطلاق لدى المسلمين، لأنه الكلام الإلهى المقدس الذى تم حفظه وتداوله بنصه بين المسلمين، وهو فى نفس الوقت القاسم المشترك الذى يعتبر المرجع الأعلى للمسلمين جميعا ـ بلا خلاف ـ فى معرفة الاسلام سواء على مستوى العقيدة أو الحياة عامة والإنسانية بشكل خاص، أو التاريخ أو المجتمع أو الأخلاق والسلوك والشريعة. ومن أجل ذلک حظى القرآن الكريم باهتمام خاص من قبل المسلمين سواء على مستوى الحفظ والتداول، أو التقديس والاحترام، أو البحث والدرس والتفسير والتأويل والاستلهام من معانيه ومفاهيمه أو التفاعل الروحى والمعنوى مع آياته الكريمة. ولذلک لا نكاد نشاهد على الإطلاق مقطعا زمنيا فى تأريخ المسلمين يخلو من هذا الإهتمام منذ الأيام الأُولى للرسالة الإسلامية ونزول القرآن الكريم فى زمن النبى محمد صلى الله عليه وآله وحتى عصرنا الحاضر. وقد امتازت مدرسة أهل البيت عليهم السلام بشكل خاص فى مجال هذا الإهتمام، حيث كان الإمام على عليه السلام أول جامع للقرآن الكريم سواء على مستوى النص القرآنى أو على مستوى تفسيره وتأويله. كما ان الصحابة والتابعين كانوا يرجعون إليه ويتعلمون منه ذلک، حيث اشتهر منهم بشكل خاص عبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود وغيرهما ممن تتلمذ للإمام على عليه السلام أو تأثر به وأخذ منه. وعلى هذا الأساس نجد هذا الإتفاق والتسالم بين علماء المسلمين على اتصاف الإمام على عليه السلام بالعلم والمعرفة بالقرآن الكريم بحيث كان يرجع إليه الصحابة والخلفاء بشكل خاص فى حل المعضلات الشرعية والدينية التى كانت تواجههم، حتى عرف عن الخليفة الثانى عمر بن الخطاب انه قال فى مناسبات عدة: «لولا على لهلک عمر» «ولا أبقانى الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن على». ومن هنا نلاحظ الفرق الواضح فى مسيرة (تفسير القرآن الكريم) وتطوره بين المدرسة العامة لجمهور المسلمين وبين المدرسة الخاصة المتمثلة بمدرسة أهل البيت عليهم السلام.[١٦] ومن أجل أن نمهد

لفهم معالم هذا الفرق وأسبابه يحسن بنا أن نشير بشكل إجمالى إلى مسيرة تكون علم التفسير فى عصر النبى والصحابة. إن من البديهيات الإسلامية أن القرآن الكريم لم يكن كتابا علميا، وإنما هو كتاب استهدف منه الإسلام بصورة رئيسية تغيير المجتمع الجاهلى وبناء الأمة الإسلامية على أساس المفاهيم والأفكار الجديدة التى جاء بها الدين الجديد، مراعيا فى ذلك كل ما تفرضه عملية التغيير والبناء من تدرج وأناة. وعلى هذا الأساس لم يكن المسلمون ينظرون إلى القرآن الكريم كما ينظرون إلى الكتب العلمية التى تحتاج إلى الدرس والتمحيص، لأن القرآن كان يسير معهم فى حياتهم الاعتيادية بما زخرت به من ألوان مختلفة فيعالج أزماتهم الروحية والسياسية ويتعرض بالنقد للأفكار والمفاهيم الجاهلية، ويناقش أهل الكتاب فى انحرافاتهم العقيدية والاجتماعية، ويضع الحلول الآنية للمشاكل التى تعتريهم، ويربط بين كل من هذه الأمور بعرض مفاهيم الدين الجديد عن الكون والمجتمع والأخلاق. وقد كان المسلمون يفهمون القرآن من خلال هذه النظرة الساذجة إليه وعلى أساس ما لديهم من خبرة عامة، وهذه الخبرة العامة التى كان المسلمون يفهمون النص القرآنى بموجبها ذات عناصر مختلفة يمكن أن نلخصها بالأمور الآتية: ١- الثقافة اللغوية العامة، فالقرآن نزل باللغة العربية التى كانت تمثل لغة المسلمين فى ذلك العصر، لأن الوجود الإسلامى حينذاك لم يكن قد انفتح على الشعوب الاخرى، وهذه الثقافة اللغوية كانت تمنح المسلمين فهما إجماليا للقرآن من ناحية لغوية. ٢-تفاعل المسلمين مع الأحداث الإسلامية وأسباب النزول. والمسلمون بحكم ارتباطهم بهذه الحوادث واطّلاعهم على ظروفها الخاصة المحيطة بها كانوا يتعرفون بشكل إجمالى أيضا على محتوى النص القرآنى ومعطياته وأهدافه. ٣- الفهم المشترك للعادات والتقاليد العربية، والعرب بحكم ظروفهم الإجتماعية كانوا على اطلاع بما تعنيه هذه العادات، ومن ثَمَّ على المفهوم الجديد عنها، فمن الطبيعى أن يفهموا قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ...» (التوبه/٣٧)، وقوله تعالى: «... وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا...» (البقرة/١٨٩) وقوله: «... إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ...» (المائده/٩٠) لأنهم

يعرفون (النسـيء) (وإتيـان البيوت من ظهورها) (والأنصـاب والأزلام) امورا كانت قـائمـة فى المجتمع الجـاهلى، وكـانوا يعيشونها. ٤ - دور الرسول صلى الله عليه وآله فى التفسير، فقد كان الرسول الأعظم يباشـر التفسـير أحيانا فى مجرى الحياة الاعتيادية للمسـلمين. وهذه العناصـر فى الحقيقة تمثل ما كان عليه المسـلمون من فهم سـاذج للقرآن، ولدينا نصـوص عدة تؤكد هذا الفهم الذى كان عليه المسـلمون فى هذه المرحلة من حياتهم الفكرية[١٧]. فهذه الأحداث على ضـآلتها تعكس لنا المرحلة التى كان يعيشها المسلمون عصر نزول القرآن. ولعل من الدلائل على هذا الفهم الساذج للقرآن من قبل المسلمين ما نلاحظه فى القراءات المتعددة للقرآن، الشـيء الذى قد يكون ناتجا عن سـذاجة بعض القراء من الصحابة فى ضبط الكلمة القرآنية، وقراءتها بالشـكل الذى يتفق مع بعض الاتجاهات اللغوية التى عاصـرت نزول القرآن ثم تداولها المسـلمون على أساس انها قراءة إسلامية تمت بالنسب إلى شخص النبى صلى الله عليه وآله. ومن الممكن أن يكون أحد العوامل التى كان لها تأثير فعال فى هذا الفهم السـاذج للقرآن هو حياة الرسـول الأعظم صـلى الله عليه وآله المثقلة بالأعمال والأحداث، ومن ثَمَّ تأثر حياة المسـلمين بشـكل عام من جراء ذلك، ولسـنا بحاجة لأن نؤكد هنا ان هذا الفهم السـاذج لم يكن يتنافى مع الدور القيادى الذى يضطلع به الرسول الأعظم[١٨].

ج. علم الفقه والتشـريع: وهو العلم الذي يبحث فيه عن الأحكام الشـرعية الفرعية التي تتعلق بأفعال المكلفين أفرادا وجماعات. وهو أوسـع العلوم اهتماما في مدرسة أهل البيت عليهم السلام وأغزرها عطاء، باعتباره يمثل الالتزامات العملية التي يتقوم بها نظام الحياة العامة والخاصـة، وتنظيم الارتباطات القانونية الفردية والاجتماعية والسـياسـية والاقتصـادية وغيرها مما يحتاج إليه في استقرار النظام العام. ويعتبر الإمام الصادق فيما قدمه من عطاء في هذا المجال أهم مصـدر للفقه الإسـلامي تنتمي إليه كافة المذاهب الإسـلامية في بداية انطلاقتها وتحركها، وقد سبق أن أشرنا إلى ذلك في حديثنا عن انتماء المذاهب الإسـلامية لمدرسـة الإمام، وقد تخرج الكثيرون من أئمة الفقه الإسـلامي على الإمام كأبي حنيفة، ومالك، والسـفيانان، ويحيى بن سـعيد وغيرهم من أعلام الأمة، وأمثال زرارة بن أعين، ومحمد بن أبي عمير، وليث

المرادي، وجميل بن دراج، ومحمد بن مسلم، وغيرهم من أعلام الشيعة، وقد كتبت عنه في هذا العلم آلاف من الكتب والمؤلفات، ولم ينقل في الفقه والتشريع عن أحد كما نقل عن الإمام الصادق من كتاب الطهارة وحتى الديات. وإتماما للفائدة، وتوضيحا لمن لم يطلع على الفقه وفروعه، إلا ذوي الاختصاص من العلماء الأعلام.[١٩]

د. علم الأصول: وأول من فتح بابه وفتق مسائله الإمام أبو جعفر محمد بن علي الباقر (عليه السلام)، وبعده ابنه أبو عبد الله الصادق (عليه السلام)، وقد أمليا فيه على جماعة من تلامذتهما قواعده ومسائله، جمعوا من ذلك مسائل رتبها المتأخرون على ترتيب مباحثه، ككتاب أصول آل الرسول، وكتاب الفصول المهمة في أصول الأئمة، وكتاب الأصول الأصيلة، وكلها بروايات الثقات مسندة بالإسناد إلى أهل البيت (عليهم السلام)، وأول من أفرد بعض مباحثه بالتصنيف من أصحاب الإمام الصادق (عليه السلام) شيخ المتكلمين هشام بن الحكم، فقد صنف كتابا في مباحث الألفاظ، وهي أهم مباحث هذا العلم.[٢٠] وقد حفلت كتب الحديث بالأخبار التي تحدد كثيرا من قواعد الحديث ومبانيه، وقد جعلها الكثير من العلماء مدركا لحجيتها، كقاعدة الاستصحاب والبراءة الشرعية ومسألة التعادل والتراجيح في مقام تعارض الأخبار، وغير ذلك من القواعد التي اعتمدها العلماء في مقام استنباط الأحكام وحرروها في كتب الأصول. وقد تعرض الإمام أيضا في بعض ما ورد عنه من أحاديث، لنقد بعض المسائل الأصولية التي اعتمدها الآخرون في استنباطاتها كمسألة القياس والاستحسان، وغيرهما مما اعتمدته مدرسة الرأي التي حرص الإمام على اتخاذ موقف صريح في نقدها وتهديم أسسها. ولقد كان الدافع لوضع هذه الأصول والقواعد، هو أن كثيرا من الأحكام التي ربما يبتلى بها المكلفون قد لا تكون هناك أخبار خاصة تحددها، وربما لا يكون من المستطاع سؤال الإمام عنها لبعد الشقة التي تفصل المكلفين عن الإمام في حال الحضور فضلا عن حال الغيبة، فكانت الحاجة ملحة لوضع قواعد وأصول تتكفل بتعيين الحكم التكليفي أو الوضعي التي تحدد وظيفة المكلف العملية وتعين له حكم موضوعه. (المصدرنفسه)

هـ. علم الطب: " إن الله - تبارك وتعالى - أهبط آدم من الجنة، وعرفه علم كل شئ، فكان مما عرفه النجوم والطب ". من هنا،

يمكننا أن نقول: إن بداية علم الطب كانت عن طريق الوحي، ثم زادته تجربة العلماء فاتسع تدريجيا، ويتسع على تواتر الأيام، لكن من زعم أن الوحي هو الطريق الوحيد لهذا العلم، فإن كلامه لا يقوم على برهان عقلي أو شرعي، كما أثبتت التجربة بطلانه، وما نقل عن المرحوم الشيخ المفيد قوله إن طريقه: " السمع عن العالم بالخفيات " يصح إذا قصد أنه أحد طرقه، لا أنه الطريق الوحيد، وإلا فلا. أهل البيت وعلم الطب تدل دراسة دقيقة للأحاديث المأثورة عن أهل البيت (عليهم السلام) بشأن الخصائص العلمية، ومبادئ العلوم، وأنواعها، على أن رسول الله (ﷺ) والأئمة (عليهم السلام) لم يتصفوا بعلم الطب فحسب، بل بالعلوم جميعا، وليس ذلك عن طريق الاكتساب، بل عن طريق خارق للعادة، حتى أنهم أنى شاؤوا أن يعلموا شيئا علموه، كما قال الإمام الصادق (عليه السلام): "إن الإمام إذا شاء أن يعلم علم".[٢١] وبسبب هذا العلم الجم كان أمير المؤمنين علي (عليه السلام) يكرر خطابه للناس قائلا: "سلوني قبل أن تفقدوني، فإن بين جنبي علوما كثيرة كالبحار الزواخر". وكان أئمة أهل البيت (عليهم السلام) قاطبة زاخرين بهذا العلم، ولم يتلكؤوا في جواب أي مسألة علمية قط، وقد قال الإمام الرضا (عليه السلام) في هذا الشأن: " إن العبد إذا اختاره الله عز وجل لأمور عباده شرح صدره لذلك، وأودع قلبه ينابيع الحكمة، وألهمه العلم إلهاما، فلم يعي بعده بجواب، ولا يحير[٢٢] فيه عن الصواب ". من هنا، لا ريب في أن أهل البيت (عليهم السلام) كانوا ملمين بعلم الطب، وإذا ثبت أنهم قالوا شيئا يتعلق بمسألة من مسائله، فإن كلامهم مطابق للواقع حتما. ومهنة الطب مع أن الطب الوقائي قد حظي - كما بينا - باهتمام الأحكام الدينية، وأن أئمة الدين أصابوا من علم الطب ما أصابوا، غير أن فلسفة الدين ليست الخوض في مهنة الطب، لذا جعلت الروايات الإسلامية علم الدين قسيما لعلم الطب، كما أن أهل البيت لم يخوضوا في الشؤون الطبية كمهنة، وأن فصل الفقه عن الطب، وعمل الفقهاء عن عمل الأطباء دليل آخر أيضا على امتياز نطاق الدين عن نطاق الطب.[٢٣] عرفنا إذا أن خوض الأئمة في المسائل الطبية كخوضهم في سائر العلوم إذ كان خاصا مؤقتا لا عاما دائما على نحو مراجعة الناس الأطباء، وكان يمثل نوعا من الكرامة والإعجاز. ومن البديهي أن الناس لو كانوا قد اهتموا واستنارا بعلم أهل البيت

(عليهم السلام) الجم، وسجلوا آثارهم العلمية بإتقان؛ لإستمتعت البشرية هذا اليوم بذخائر علمية ثقافية عظيمة في شتى فروع العلم، لكنا نأسى على جهل المنزلة العلمية لأهل البيت (عليهم السلام) إذ لم تعرف حق معرفتها، كما أن ما أثر عنهم لم يسلم من مكائد الساسة المحترفين المفترين، حتى نجد أن الظفر بتراثهم العلمي هذا اليوم يحتاج إلى جهود بالغة.

و. العلوم الكونية والطبيعية: إن المقاصد والسمات في كلام أهل البيت عليهم السلام هي نفس المقاصد والسمات القرآنية التي ذكرت سلفاً. وكلمتهم الطيبة هي ذات الكلمة الطيبة «كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا» (ابراهيم/٢٤-٢٥) فكلامهم في العلوم الكونية والطبيعية يأتي في إطار سنة ونظرية واحدة تحكم جميع الأجزاء المختلفة لهذا الكون. ولاينفك فيها الجانب التكويني عن الجانب التشريعي. فالحديث عن خلق الكون عند آل محمد (عليهم السلام) جاء لتوضيح كلام الخالق الذي ﴿يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾ ولكي يستفيد منه المؤمنون في الجانب التشريعي أيضاً. فهذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) يقول في خلق السماوات والأرض: (ولو شاء الله أن يخلقها (أي السماوات والأرض) في أقل من لمح البصر لخلق، ولكنه جعل الأناة والمداراة مثالا لأمنائه وإيجابا للحجة على خلقه)[٢٤] يمكن أن نبدأ الحديث عن بداية نشأة الكون والمادة الأولية التي خلق منها في تراث آل البيت (عليهم السلام) ١- من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) حيث يقول: (إن الله تعالى أول ما خلق الخلق، خلق نوراً ابتدعه من غير شيء، ثم خلق منه ظلمة، وكان قديرا أن يخلق الظلمة لا من شيء كما خلق النور من غير شيء، ثم خلق من الظلمة نورا وخلق من النور ياقوتة غلظها كغلظ سبع سماوات وسبع أرضين، ثم زجر الياقوتة فماعت لهيبته فصارت ماء مرتعدا ولا يزال مرتعدا إلى يوم القيامة، ثم خلق عرشه من نوره وجعله على الماء[٢٥] ٢- كذلك ورد عنه (عليه السلام) في الخطبة الأولى من نهج البلاغة: (أنشأ الخلق إنشاء وابتدأه ابتداء، بلا روية أجالها، ولا تجربة استفادها، ولا حركة أحدثها، ولا همامة نفس اضطرب فيها. أحال الأشياء لأوقاتها ولاءم بين مختلفاتها، وغرز غرائزها وألزمها أشباحها، عالما (بها) قبل ابتدائها، ومحيطا بحدودها وانتهائها، عارفا بقرائنها وأحنائها، ثم أنشأ

سبحانه فتق الأجواء، وشق الأرجاء، وسكائك الهواء فأجرى، فيها ماء متلاطما تياره، متراكما زخاره، حمله على متن الريح العاصفة والزعزع القاصفة، فأمرها برده، وسلطها على شده، وقرنها على حده: الهواء من تحتها فتيق، والماء من فوقها دفيق. ثم أنشأ سبحانه ريحا اعتقم مهبها وأدام مربها وأعصف مجريها، وأبعد منشأها، فأمرها بتصفيق الماء الزخار وإثارة موج البحار فمخضته مخض السقاء، وعصفت به عصفها بالفضاء، ترد أوله على آخره، وساجيه على مائره حتى عب عبابه ورمى بالزبد ركامه، فرفعه في هواء منفتق، وجو منفهق فسوى منه سبع سماوات جعل سفلاهن موجا مكفوفا، وعلياهن سقفا محفوظا وسمكا مرفوعا بغير عمد يدعمها، ولا دسار ينتظمها، ثم زينها بزينة الكواكب، وضياء الثواقب فأجرى فيها سراجا مستطيرا، وقمرا منيرا، في فلك دائر، وسقف سائر، ورقيم مائر. ثم فتق ما بين السماوات العلى، فملأهن أطوارا من ملائكته[٢٦]. ٣- وروي عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر u قوله: (وكان الخالق قبل المخلوق، ولو كان أول ما خلق من خلقه الشيء من الشيء إذا لم يكن له انقطاع أبداً، ولم يزل الله إذا ومعه شيء وليس هو يتقدمه، ولكنه كان إذ لا شيء غيره، وخلق الشيء الذي جميع الأشياء منه فجعل نسب كل شيء إلى الماء ولم يجعل الماء نسبا يضاف إليه، وخلق الريح من الماء، ثم سلط الريح على الماء فشققت الريح متن الماء حتى ثار من الماء زبد على قدر ما شاء ان يثور، فخلق من ذلك الزبد أرضا بيضاء نقية ليس فيها صدع ولا ثقب ولا صعود ولا هبوط ولا شجرة ثم طواها فوضعها فوق الماء، ثم خلق الله النار من الماء فشققت النار متن الماء حتى ثار من الماء دخان على قدر ما شاء الله أن يثور، فخلق من ذلك الدخان سماء صافية نقية ليس فيها صدع ولا ثقب، وذلك قوله: والسماء بناها رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها قال: ولا شمس ولا قمر ولا نجوم ولا سحاب، ثم طواها فوضعها فوق الأرض، ثم نسب الخلقتين فرفع السماء قبل دحو الأرض فذلك قوله عز ذكره: ﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾ يقول بسطها) - روضة الكافي. ٤- وعنه أيضاً: (كان كل شيء ماء وكان عرشه على الماء فأمر جل وعز الماء فاضطرم نارا، ثم أمر النار فخمدت فارتفع من خمودها دخان، فخلق السماوات من ذلك الدخان، وخلق الأرض

من الرماد) -روضة الكافي. ومن يتأمل هذه الروايات يجدها متوافقة مع تلك الآيات الكريمة التي تحدثت عن بداية نشأة الكون. حيث تقرر الرواية الأولى أن الله خلق نوراً والنور أحد أنواع الطاقة ثم ضم تلك الطاقة في قطعة صغيرة (ياقوتة) غليظة كغلظة السماوات والأرض أي ذات كثافة عالية جداً (تفرد-singularity). ثم زجر تلك الياقوتة فماعت وانفجرت وصارت ماءً كمادة أولية تظل مرتعدة ومتذبذبة وذلك ما تقرره ميكانيكا الكم وما يبدو واضحاً في الجسيمات الذرية. وأما الرواية الثانية فهي تتحدث بشكل واضح عن فتق الأجواء وشق الأرجاء وقد أوضحنا أن الفتق لايكون إلا بعد رتق. فهذا يشير إلى أن الأرجاء والفضاء كان مجتمعا بالإضافة إلى الطاقة قبل الفتق أو الانفجار. وسكائك الهواء هي جمع سكة وهي الطريق فتلك الرواية تحدد وبوضوح أن لهذا الفضاء طرق وهو ما تقرره النظرية النسبية العامة لانتقال الأجسام في فضاء الزمن الذي قد يكون منحنياً عند وجود الكتل. وأما ما يلي تلك العبارة من الحديث عن الريح فإن الريح يمكن أن تكون القدرة والقوة كما سخرت لسليمان. والقوة هنا بجميع أنواعها وأهمها في بداية الانفجار هي القوة النووية ثم الكهربية ثم في الأخير الجاذبية التي تؤدي إلى تجمع أجزاء تلك الأجرام الناتجة والتفافها على بعضها لتشكل المجرات (كما تمخض السقاء). وأما الرواية الثالثة فتشير بوضوح إلى المادة الأولى التي نشأ منها الكون ونشأت منها كل الأشياء وهو الماء الذي هو المادة البسيطة التي لا تنسب إلى غيرها (فجعل نسب كل شيء إلى الماء ولم يجعل الماء نسبا يضاف إليه). وتشير إلى أن الريح (القوى) تكونت من نفس المادة الأولية. ثم تعمل تلك القوى على تجميع الأجزاء المتباعدة فتتكون النجوم والكواكب البدائية. حتى استقرت النجوم والشمس قبل اعتدال حركة الأرض[٢٧].

ز. علم الكيمياء: تتزايد أهمية الكيمياء يوماً بعد يوم، وتثبت التجارب العلمية الحديثة أن الحياة تتألف من عمليات كيميائية معقدّة، كما ثبت أن الوراثة وليدة للتفاعلات الكيميائية. بل لعلم الكواكب والأرض تكونت نتيجة لعمليات كيميائية مستمرة، كما أن التغييرات التي تطرأ على الكون هي في كثير من الحالات ذات طبيعة كيميائية. ومن الشائع الثابت أن الإمام الصادق عليه السلام كان على علم

بخواص الأشـياء منفردة ومركّبة، وأنه درّس علم الكيمياء في مدرسته قبل اثني عشر قرناً ونصف قرن. واشتهر من تلامذته في هذا العلم هشـام بن الحكم المتوفي حوالي سنة (١٩٩ هـ) وهو من أصحاب الصادق عليه السلام وتلامذته، وله نظرية في جسـمية الأعراض كـاللون والطعم والرائحة، وقد أخذ ابراهيم بن سيّار النظّام المعتزلي هـذه النظريـة لمّا تتلمذ على هشـام. وقد أثبتت صـحة هذا الرأي النظريـات العلميـة الحـديثـة القـائلـة أن الضـوء يتـألف من جزيئـات في منتهى الصغر، تجتاز الفراغ والأجسام الشفافة، وأن الرائحة أيضاً من جزيئات متبخرة من الأجسام تتأثر بها الغدد الأنفية، وأن المذاق جزيئـات صـغيرة تتـأثر بـه الحليمـات اللسانية. ومن تلامذة الإمام الصادق (عليه السلام) الـذين اشـتهروا ببراعتهم في الكيميـاء والعلوم الطبيعية جابر بن حيّان الصـوفي الطرطوسـي، الذي دوّن وألف خمسـمائة رسـالـة من تقريرات الإمـام في علمي الكيميـاء والطـب في ألف ورقـة.[٢٨] وقـد ذكر، ابن النديم في الفهرسـت وأطال فيه الكلام، وذكر له كتبا ورسـائل في مختلف العلوم ولا سـيما في الكيميـاء، والطـب، والفلسـفـة والكلام. وقـد أكبر المؤلفون المسـلمون منزلة جابر، وعدّوه مفخرةً من مفاخر الاسلام. ولا بدع، فإن تزيد مؤلفاته على ثلاثة آلاف كتاب ورسالة في مختلف العلـوم، وجلهـا في العلـوم النظريـة والطبيعية التي تحتاج إلى زمن طويل في تجـاربهـا وتطبيقـاتهـا، لجـدير بـالتقـدير والاكبـار. وقـد تمكن جـابر من تحقيق وتطبيـق طـائفـة كبيرة من النظريـات العلمية، أهمها تحضير (حامض الكبريتيك) بتقطيره من الشبّة. وسمّه (زيت الزاج). كما حضـر (حـامض النتريـك) و(مـاء الذهـب) و(الصـودا الكاويـة). وكـان جـابر أوّل من لاحظ ترسّب (كلورود الفضة) عند إضافة محلول ملح الطعـام إلى محلول (نترات الفضـة). وينسـب إليه تحضـير مركّبات أخرى مثل كربونات البوتاسيوم وكربونات الصـوديوم وغير ذلك مما له أهمية كبرى في صـنع المفرقعات والاصـباغ والسـماد الصناعي والصابون وما إلى ذلك. ولم تقف عبقرية جابر في الكيمياء عند حدّ تحضير هذه المواد فحسـب، بل انبعث منها إلى ابتكار شـيء جديد في الكيمياء هو ما سـمّاه بعلم (الميزان)، أي معادلة ما في الأجسـاد والمعادن من طبائع، وقد جعل لكل جسـد من الأجسـاد موازين خاصـة بطبائعه، وكان ذلك بداية لعلم المعادلات

في طبائع كل جسم.[٢٩] وقد امتد نشاط جابر إلى ناحية أخرى من الكيمياء هي التي يسمونها بالصنعة، أي تحويل المعادن الخسيسة إلى معادن ثمينة من ذهب وفضة. ويعدّ جابر رائداً لمن أتى بعده من العلماء اللذين شُغفوا بهذه الناحية من الكيمياء، كالرازي وابن مسكوية والصغرائي والمجيرطي والجلدكي. وكانت نظرية تحويل المعادن إلى ذهب أو فضة نظرية يونانية قديمة فُتن بها المسلمون من بعدهم، فوضع جابر فيها رسائل كثيرة، وشرح قواعدها وأصولها بكتبه المتعددة. يقول ابن النديم: (حدّثني بعض الثقات ممن تعاطى الصنعة إنه (أي جابر) كان ينزل في شارع باب الشام في درب يعرف بدرب الذهب، وقال لي هذا الرجل أن جابراً كان أكثر مقامه بالكوفة، وبها كان يدير (الأكسير) لصحة هوائها، ولمّا أصيب الأزج الذي وجد فيه هاون ذهب، فيه نحو مائتي رطل. كان من موضع دار جابر بن حيّان، فإنه لم يصب في ذلك الأزج غير الهاون فقط).[٣٠] ويعتقد الدكتور محمد يحيى الهاشمي أن الذي يقصده جابر (بالأكاسير) هو (الراديوم) نفسه، أو أحد الأجسام المشعّة فيقول: (ومما يزيد اعجابنا ادّعاء جابر بأنّ هذا السّر له دخل في جميع الأعمال، واننا إذا أمعنّا النظر في الوقت الحاضر، لوجدنا اكتشاف الأجسام المشعّة التي تؤدي إلى قلب عنصر المادة وتحطيم الذرة لم يمكن من نتائجها القنبلةالذرية فحسب بل ايجاد منابع قوة جديدة لم تكن تطرق على بال الانسان).[٣١] وصلت نظرية (الصنعة) ضرباً من ضروب الآمال والأحلام بل الأوهام وكان من يشتغل بها يُرمى بالعته والهوس، حتى ان الكندي وابن خلدون نبذا هذه الفكرة، وأكدّا عدم امكان تحويل أي عنصر إلى عنصر آخر. غير أن ما حدث في عام ١٩١٩ من تحطيم ذرّات (النتروجين) وتحيلها إلى ذرات (الأكسجين) و(الهيدروجين) قد بدّل مفهوم هذه الفكرة، وأثبت إمكان تحقيقها بالفعل. وقد تولت بعد ذلك تجارب شطر نواة الذّرة، باستخدام قذائف من جُسيمات (ألفا) أي نوى (الهليوم)، ومن جسميات أخف ولكن أكبر أثراً منها وهي البروتونات أي نُوى (الهدرجين) بعد إطلاقها بسرعة فائقة، وأمكن بذلك شطر نواة الذّرة وتحويل عدد من العناصر إلى عناصر أخرى، كتحويل الهدروجين إلى عنصر الهليوم، وتحويل الصوديوم إلى مغنسيوم، والليثيوم والبورون إلى هليوم، فتحقق فعلاً أمر تحليل العناصر وتحويل بعضها

الى بعض. وقد افرد الأستاذ محمد يحيى الهاشمي لهذا الموضوع كتابا سماه (الإمام الصادق ملهم الكيمياء)، نحيل إليه القارئطلبا لمزيد من البحث. وللمستشرق الفرنسي بول كراوس (Kraus) كتب وبحث مستفيضان حول شخصية جابر بن حيّان العلمية، وإن كان فيهما ما يدعو إلى التأمل والمناقشة، خاصة استبعاد، لبعض هذه النظريات العلمية في عصر الصادق (عليه السلام).[٣٢]

٨-إقامة المدارس العلمية في الحواضر الإسلامية

لقد انبرى أئمّة الهدى من أهل البيت (عليهم السلام) بإقامة وتأسيس وتشييد المدارس العلمية في التفسير، وعلوم القرآن، ودراية الحديث، وشرح السيرة النبويّة... في مسجد النّبي (صلى الله عليه وآله)، وفي مسجد الكوفة، ومناطق أُخرى.... (فكان الإمام الحسن (عليه السلام) يجلس في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ويجتمع الناس حوله، فيتكلّم بما يشفي غليل السائلين، ويقطع حجج المجادلين)[٣٣]. وقال الحافظ ابن كثير: «كان الحسن إذا صلّى الغداة في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) يجلس في مصلّاه يذكر الله حتّى ترتفع الشمس ويجلس إليه مَن يجلس من سادات الناس يتحدّثون عنده»[٣٤]. وأمّا الإمام زين العابدين (عليه السلام) فقد أصّل حركة الاجتهاد في مدرسته العلمية، وعقد حلقات البحث والدرس في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) يحدّث الناس بصنوف المعارف الإسلامية، ولقد أدّت مدرسته العلمية دورها الكبير في دفع الخطر الوافد على الأُمّة نتيجة انفتاح المسلمين على ثقافات متنوعة، وأوضاع اجتماعية مختلفة جرّاء التوسّع في الفتوحات الإسلامية. لقد ترك الإمام زين العابدين (عليه السلام) تراثاً فكرياً، وتربوياً، وروحياً ضخماً للأُمة الإسلامية، يعالج أزماتها، ويرتقي بها إلى القمم الإنسانية العالية، وذروة الكمال، لتعيش سموّ الروح، ونقاء الفكر، وصفاء النفس، لتنبت فيها بذور الخير بكلّ معانيه، فتنمو فيها القيم الإنسانية، وتتعاظم فيها مُثُل الإسلام العليا، لتبنّي صرح مجدها عالياً زاهراً زاخراً بكلِّ معاني الخير، والحبّ، والعدالة، والوعي، والإيمان. وأمّا الإمام محمّد بن عليّ الباقر (عليه السلام) فقد تفتّقت عبقريته العلمية علوماً جمّة. فقد تلمّذ على يديه الكثير، وروى عنه معالم الدين بقايا الصحابة، ووجوه التابعين، ورؤساء فقهاء المسلمين، وصار ــ بالفضل به ــ عَلَماً لأهله تُضرب به الأمثال وتسير إليه قوافل العلماء بخوض اللّجج وسفك المهج من

أجل أن يظفروا بنعيم معارفه الحقّة، فتصاغر بين يديه أكابر علماء عصره إذعاناً منهم بأعلميته وعظم مرجعيّته، فهذا «عبدالله بن عطاء» يقول: «ما رأيت العلماء عند أحدٍ أصغر علماً منهم عند أبي جعفر محمّد بن عليّ لتواضعهم له، ومعرفتهم بحقّه، وعلمه واقتباسهم منه، ولقد رأيت الحكم بن عُتَيْبَة على جلالته وسنّه، وهو بين يديه يتعلّم منه، ويأخذ عنه كالصبي بين يدي المتعلّم»[٣٥]. وقال ابن زهرة: «فعليّ زين العابدين كان إمام المدينة نبلاً وعلماً، وكان ابنه محمّد الباقر وريثه في إمامة العلم، ونبل الهداية.. فكان مقصد العلماء من كلّ بلاد العالم الإسلامي، وما زار أحد المدينة إلا عرّج على بيت محمّد الباقر يأخذ عنه، وكان يقصده أئمة الفقه الإسلامي كسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، وأبي حنيفة شيخ فقهاء العراق، وكان يرشد مَن يجيء إليه» (ابوزهرة، ١٩٩٦م: ص٦٨٨). لقد روي عنه الكثير من الأحاديث، فقد روى عنه أحد تلامذته «جابر بن يزيد الجعفي» ما يقرب من عشرة آلاف مسألة (١٠/٠٠٠) كما ذكر ذلك الذهبي بروايته عن ابن شريك[٣٦]. وأمّا الإمام الصادق (عليه السلام) فقد تشعبّت علومه وتنوّعت، وقد ثنيت له الوسادة في نشر علوم آل محمّد (صلى الله عليه وآله) ولو أردنا أن نفهرس فضائله العلمية على الأُمة لما استوعبته المجلّدات. فقد ازدهرت المدينة المنوّرة في عصره وزخرت بطلاب العلم ووفود الأقطار الإسلامية، يفدون إليه من كل حدب ينسلون، وانتظمت لديه حلقات الدرس، وكان بيته جامعة إسلامية، يزدحم فيه رجال العلم وحملة الحديث من مختلف الطبقات، وقد تلمّذ على يديه جيش من العلماء والفضلاء بلغ زهاء (٤٠٠٠) أربعة آلاف طالب، يقول الحسن بن عليّ الوشاء: «أدركت في مسجد الكوفة تسعمائة (٩٠٠) شيخاً كلّ يقول حدّثني جعفر بن محمّد الصادق (عليه السلام)»[٣٧]، بمعنى أن كلَّ شيخ كان محدّثاً ويترأ س حلقة علمية وهو يحدّث عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق (عليه السلام). كانت مدرسته العلمية تقوم على قاعدة علمية كبرى تتفرّع منها بقية العلوم التي يتلقّاها الطلاب، فربط (عليه السلام) ضروب النشاط العلمي في مجمع مدرسته ومنتداها بالتوحيد والإيمان، وجعل من وجوب المعرفة بالله تعالى أصلاً لذلك. وتنوّعت علومه فلم تقتصر على علوم الشريعة فحسب، بل تعدّاها لتشمل الطب، وعلم الفلك، والكيمياء. يقول عارف ثامر: «إنّه

أصبح من الواجب العلمي التحدّث عن الإمام الصادق (عليه السلام) كعميد لأوّل مدرسة فكرية، ورئيس لأوّل مركز لتعليم الفلسفة الباطنية، وموجِد علم الكيمياء الذي تكّلم عنه جابر بن حيّان الصوفي الطرسوسي، ومُخرج العقل الإسلامي من نطاقه المحدد إلى فضاء رحيب تسيطر في أجوائه حرّية الفكر العلمي السليم، القائم على الحقيقة والمنطق والواقع. وناقل أكبر عدد من المخطوطات إلى اللاتينية، فقد جاء أنّه أوّل شخصية ظاهرة اشتغلت في الكيمياء لظهور عدد لا يستهان به من المخطوطات اللاتينية في الكيمياء»[٣٨].

٩-تربية الخواص والمتخصّصين

اهتمّ أهل البيت (عليهم السلام) بتربية الخواص والحواريين ليكونوا أفذاذاً، وقادة للأُمة، تقتدي بهم، وتحفّ من حولهم، لنشر المكارم والقيم الإلهية فيكونوا قدوة مجسّدة للتعاليم الإسلامية. فكان أمير المؤمنين (عليه السلام) يصحر بأمثال كميل بن زياد، وميثم التمار، وحجر بن عدي الكندي، وعمر بن الحمق الخزاعي، ويبثّهم العلوم والأسرار التي ربّما لا يتحمّلها عموم الناس، وقد ورد في الحديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): «نحن معاشر الأنبياء أُمرنا أن نحدّث الناس على قدر عقولهم». فكان لهؤلاء الدور الكبير في تثبيت دعائم الإيمان، وأركان الإسلام. وكان الإمامان الباقر والصادق' يدعوان النابهين من تلامذتهما للتخصّص في بعض فنون العلم وفروعه، فمثلاً كان الباقر (عليه السلام) يحثّ أبان بن تغلب على التعمّق في الفقه والافتاء، فكان يخاطبه ويقول: «اجلس في مسجد المدينة وافتِ الناس فإنّي أحبّ أن يُرى في شيعتي مثلك» (٧٩)، وليست هذه الدعوة جزافاً، وإنّما حصلت عبر دروس بليغة في التربية والإعداد والتخصّص، ولذلك ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) لمّا أتاه نعيه: «أما والله لقد أوجع قلبي موت أبان». كما أن الإمام الصادق (عليه السلام) كان يدعو هشام بن الحكم لمناظرة المخالفين بمناظرات علمية في مجال الحكمة وعلم الكلام. كما أملى على جابر بن حيان الصوفي الكثير من أسرار الكيمياء، وهكذا بقية أئمّة أهل البيت (عليهم السلام).[٣٩]

النتائج:

إنَّ الحضارَة الإسلامية هي ثمرة الجهود المتواصلة للأمة الإسلامية منذ انبِثَاق الدعوة المُحمَّديَّة المباركة فهم

بِشعوبِهِم المُتنوِّعة وفي ظِلِّ الإيمان والعقيدة ذابوا في بَوتقة الإسلام، وَوَظَّفوا كل قواهم وإمكانيَّاتهم، وركَّزوا كل مَساعِيهم وجهودِهم لِخِدمة الإسلام وتحقيق أهدافه وأغراضه السامية، وبذلك أرسوا دعائم حضارة لا تزال البشريَّة مَدينَة لها، ومستفيدة منها. ولقد كان لأهل البيت عليهم السلام دور مؤثِّر في بنا صَرْح الحضارة الإسلامية الكبرى، ويكفي تصفح الكتب المؤلَّفة في العلوم والحضارة الإسلامية لنرى كيف تَلمَعُ فيها أسماء عُلَماء أهل البيت عليهم السلام ومُفَكِّرِيهِم. مثلاً في مجال الآداب العربية والعلوم الإنسانية يكفي أن نعرف أن أمير المؤمنين (عليه السلام) هو مؤسِّسُها الأول، وأن تلميذه أبا الأسود الدؤلي هو الذي عمل على توسعتها وتدوينها. وفي علم التفسير فالمرجع الأول لتفسير القرآن الكريم بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) هو – أيضاً – الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، وبعده أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، ومن بعدهم (عليهم السلام) عبد الله بن عباس وغيره من تلامذة أهل البيت (عليهم السلام). كما أنَّ أحد أُسُس الحضارة الإسلامية هو معرفة عالم الطبيعة وقوانينها، وقد تَخرَّج من مدرسة الإمام الصادق (عليه السلام) أشخاص معروفون كجَابِر ابن حَيَّان، وقد برعوا في مجال العلوم الطبيعية إلى درجة أن جابراً دُعِي في عصرنا هذا بأبي الكيمياء الحديثة. فإن هذه الجهود الكبرى التي بذلت في سبيل العلم والثقافة، وابتدأت من القرن الأول الهجري وحتى هذا اليوم، وأُسِّسَت من أجلها الحوزات، والمدارس، والجامعات، والمعاهد العديدة، قد تَمَّت على أيدي علماء أهل البيت عليهم السلام ورجالهم، الذين لم يفتئوا لحظة واحدة عن تقديم الخدمة للعالم البشري وللحضارة الإسلامية والإنسانية.

الهوامش

(١) الأمينى، ١٣٦٦ش: ج١، ص٣٩٠.
(٢) راغب الأصفهانى، بلاتاريخ، ص٢٤.
(٣) الكلينى، ١٣٦٥ش: ج١، ص٢١٦.
(٤) آل كاشف الغطاء، بلاتاريخ، ص٢٢١.
(٥) علم‌الهدى، بلاتاريخ، ج١، ص٥.
(٦) دهخدا، ١٣٧٧: ج ١، صص ٦٠٩- ٦١١.
(٧) ابن منظور، ١٩٨٨: مادة حضر.
(٨) ابن خلدون، ١٤٠٨ق: ص١٢٩.
(٩) محيي الدين، ١٩٦٢م: ص٤٢.
(١٠) دورانت، بلاتاريخ، ج١ ص٣.
(١١) الحسينى، ٢٠٠٥م: ص٦٣.
(١٢) الكلينى، ١٣٦٥ش: ج١، ص٣٤.
(١٣) بسام، ٢٠٠٦م: ص٢٧٤.

(١٤) حيدر، ١٩٦٩م: ج١، ص٦٨-٦٩.
(١٥) الكلينى، ١٣٦٥ش: ج٢، ص٦٠٤.
(١٦) المصدرنفسه، ج٢، ص٦٠٧.
(١٧) ابن حجر عسقلانى، ١٤٢٤ق: ج٩، ص٢٤٩.
(١٨) الكلينى، ١٣٦٥ش: ج٢، ص٦٠٤.
(١٩) المصدر نفسه.
(٢٠) الصدر، ١٤٢٧ق: ص٩٥.
(٢١) الريشهرى، ١٣٧٥ش: ص٢٣٣.
(٢٢) ابن بابويه، ١٣٧٧ش: ج٢، ص١٠١.
(٢٣) الكلينى، ١٣٦٥ش: ج١، ص٣٣.
(٢٤) المجلسى، ١٩٨٣م: ج٥٤، ص٦.
(٢٥) المصدرنفسه، ج ٤٤ ص ١٩٤.
(٢٦) نهج البلاغة، عيون المواعظ والحكم (الواسطي)، ربيع الأبرار (الزمخشري)، مطالب السؤول (ابن طلحة الشافعي).
(٢٧) المصدرنفسه.
(٢٨) ابن نديم، بلاتاريخ، ص٣١٢.
(٢٩) نعمة، ١٩٨٧م: ص٦٣.
(٣٠) ابن نديم، بلاتاريخ، ص٤٩٩.
(٣١) الهاشمى، ١٩٥٠م: ص١٥٦.
(٣٢) المصدرنفسه.
(٣٣) النصيبى، بلاتاريخ، ج٢، ص١٧.
(٣٤) ابن كثير، ١٣٩٨ق: ج٧، ص٤٠.
(٣٥) المصدرنفسه، ججو، ص٣٤٠.
(٣٦) الذهبى، ١٩٦٣م: ج٢، ص١٠٤.
(٣٧) النجاشي، ١٤٠٧ق: ص٧٩.
(٣٨) الهاشمي، ١٩٥٠م: ص٣٢.
(٣٩) الحائرى، ١٤١٦ق: ج١، ص١٣٣.

قائمة المصادر

القرآن الكريم

١- **ابن بابويه، محمدبن على،** معانى الاخبار، دارالكتب الاسلامية، طهران، ايران، ١٣٧٧ش.

٢- **ابن حجر عسقلانى، احمدبن على،** فتح البارى، دارالكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤ق.

٣- **ابن خلدون، عبدالرحمن،** مقدمه ابن خلدون، دارالحياء التراث العربى، بيروت، ١٤٠٨ق.

٤- **ابن كثير، اسماعيل بن عمر،** البداية والنهاية، دارالفكر، بيروت، ١٣٩٨ق.

٥- **ابن منظور، جمال الدين محمدبن مكرم،** لسان العرب، دار إحياء التراث العربى، بيروت، ١٩٨٨م.

٦- **ابن نديم، محمد بن اسحاق،** الفهرست، دار المعرفة، بيروت، لبنان، بلاتاريخ.

٧- **ابوزهرة، محمد،** تاريخ المذاهب الإسلامية، دارالفكر العربى، مصر، ١٩٩٦م.

٨- **الأمينى، عبدالحسين،** الغدير في الكتاب والسنة والادب، دارالكتب الإسلامية، طهران، ١٣٦٦ش.

٩- **آل كاشف‌الغطاء، محمدحسين،** أصل الشيعة واصولها، وسسه الاعلمى للمطبوعات، بيروت، بلاتاريخ.

١٠- **بسام، جرار، الفكر الاسلامى،** مركز نون للدراسات القرآنية، فلسطين، ٢٠٠٦م.

١١- **الحائرى، محمد بن اسماعيل،** منتهى المقال، موسسه آل البيت (عليهم السلام)، لاحياء التراث، قم، ١٤١٦ق.

١٢- **الحسينى، محمدرضا،** الحُسَيْنُ عليه السلام سِماتُهُ وسِيْرَتُهُ، دارالمعروف، قم، ٢٠٠٥م.

١٣- **حيدر، أسد،** الإمام الصادق والمذاهب الأربعة، ط دار الكتاب العربىّ، بيروت، ١٩٦٩ م.

١٤- **دهخدا، على اكبر،** لغت نامه ى دهخدا، جامعة طهران، طهران، ١٣٧٣ش.

١٥- **ديورانت، ول وايريل،** قصة الحضارة، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، بيروت، بلاتاريخ.

١٦- **الذهبى، محمدبن احمد،** ميزان الاعتدال، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٣م.

١٧- **راغب الأصفهانى، حسين بن محمد،** المفردات في غريب القرآن، دارالشامية، بيروت، بلاتاريخ

١٨- **الريشهرى، محمد،** اهل البيت فى الكتاب والسنة، دارالحديث، قم، ١٣٧٥ش.

١٩- **علم‌الهدى، على بن الحسين،** الشافى فى الإمامة، موسسة الصادق (عليه السلام)، تهران، بلاتاريخ.

٢٠- **الكلينى، محمدبن يعقوب،** الكافى، دارالكتب الاسلامية، تهران، ١٣٦٥ش.

٢١- **المجلسى، محمدباقر،** بحارالانوار، دار احياء التراث العربى، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م.

٢٢- **محيي الدين، صابر،** التغير الحضاري وتنمية المجتمع، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٢م.

٢٣- **النجاشي، أبي العبّاس أحمد بن علي،** رجال النجاشي، المحقق موسى الشبيري الزنجاني، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤٠٧ق.

٢٤- **النصيبى، محمدبن طلحة،** مطالب السؤول، مؤسسة البلاغ، بيروت، لبنان، بلاتاريخ.

٢٥- **نعمة، عبدالله، فلاسفة الشيعة،** دارالكتاب الاسلامى، قم، ايران، ١٩٨٧م.

٢٦- **الهاشمي، محمد يحيى،** الإمام الصادق ملهم الكيمياء، مطبعة النجاح، ببغداد، ١٩٥٠ م.